

خطبة الجمعة - الخطبة ٧٦٧ : خ ١ - رقائق : كلمات مؤثرة تررق القلب ، خ ٢ - ثبات خلايا الدماغ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١١-٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشده، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولیاً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

التفكير في الموت يردع الإنسان عن المعاصي :

أيها الأخوة المؤمنون ؟ نحن في عصر الشهواتُ فيه مستعرة، و الشبهات منتشرة، نحن في عصر عجز معظم المسلمين عن أن يؤدوا حق عبادتهم، يقول عليه الصلاة والسلام، عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[الترمذى عن شداد بن أوس]

رأيت إلى هذا النموذج الثاني: " أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني " هذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجز، عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[الترمذى عن شداد بن أوس]

أيها الأخوة الكرام ؛ والمؤمن في طريقه إلى الله قد تعتوره حالة، حالة الضعف، الضعف في إيمانه، ما الذي يردعه ؟ و ما الذي يحفره ؟ ما الذي يوقفه ؟ و ما الذي يهزمه ؟ ما الذي ينزلزله ؟ التفكير في الموت، ما من حدث واقعي في حياتنا كهذا الحدث، لأن كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة و الجبروت، و الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر:

وَكُلُّ أَبْنَى أَنْتَ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةِ حَدِيَاءِ مَحْمُولٍ
فَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جَنَازَةً فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولٌ

حكم ترقة القلب و تذكر بالآخرة :

موضوع الخطبة اليوم موضوع فريد، يأتي في بعض الآثار الإسلامية تحت عنوان الرقائق، هي قصص و حكم ترقق القلب، تذكر بالآخرة، تذكر بالله، تحفز إلى طاعة الله، تلجم النفس عن معصية الله، إنها الرقائق، يقول عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه:

((أيها الناس، إن الأيام تُطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، وإن الليل والنهر يترافقان كترافق البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد - ثوب خلق، أي مهترئ، الخلق شيء، والخلق شيء، والخلق شيء، هذه من خلق أي اهتراً - و يخلقان كل جديد، وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات، و رغب في الباقيات الصالحة))

و يقول بعض العلماء: "كم من مستقبل يوماً وليس يستكمله" حدثني أخُ كريم قال: صليت الفجر في أحد مساجد دمشق، و كان أحد المصليين ذا دعاية، بعد أن نخرج من المسجد لا بد من أن يلقي طرفةً، قال: رأيته ظهراً عند موقف سيارة عامة، و أقسم بالله العظيم أنه صلى عليه العصر، قال: "كم من مستقبل يوماً وليس يستكمله، ومنتظرٌ غداً وليس من أجله" ورد أنه "من عَدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت" من عَدَّ غداً، قال: أنا غداً سأدفع هذه الفاتورة، غداً سأنجز هذا العمل، "من عَدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت" ، "فكم من مستقبل يوماً وليس يستكمله، ومنتظرٌ غداً و ليس من أجله، لو رأيتم الأجل و مسيره لأبغضتم الأمل و غروره".

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ

((يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أَوْلَئِكَ الْأَكْيَاسُ))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

و قال بعضهم: إنكم تتمون كما تموتون، و تُبعثون كما تستيقظون " و قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "أيها الناس اتقوا الله، الذي إنْ فلتُمْ سمع، وإنْ أضررتُمْ علم، و بادروا الموت، الذي إنْ هربتم منه أدرككم، و إنْ أقمتمْ أخذكم" و قال بعضهم: "ليس قبل الموت شيء إلا و الموت أشد منه، و ليس بعد الموت شيء إلا و الموت أيسره منه".

نصوص تصنف تحت باب الرقائق و تحفزنا على الطاعات :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه نصوص تصنف تحت باب الرقائق، ينبغي أن يرقق القلب لها، ينبغي أن تلجمنا عن المخالفات، وأن تحفزنا إلى الطاعات، ينبغي أن يتحرك القلب، لأن الذي يطول عليه الألم يقوس قلبه، فلا يتأثر بموعنة، ولا تهتز مشاعره لقصة، ولا يندم على ما فات. أيها الأخوة

الكرام، أخطر ما يصيب القلب أن يكون القلب قاسياً، إن الاستمرار على المعاصي يقسى القلب، إن متابعة المخالفات تجعل على القلب الران:

﴿كَمَا بِرَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة المطففين: ١٤]

قال بعضهم: "السعيد لا يركن إلى الخُدَع، و لا يغتر بالطمع" وقال بعضهم: "إن بقاءك إلى فناء، و فناءك إلى بقاء، فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقاءك الذي لا يفنى".

أيها الأخوة ؛ كل امرئ يجري بعمره إلى غاية تنتهي إليها مدة أجله، وتنطوي عليها صحيفة عمله، فخذ لنفسك، وقس يومك بأمسك، وكف عن سيناتك، وزد في حسناتك قبل أن تستوفي مدة الأجل، ولا يُسمح لك في الزيادة في العمل.

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من وقفة مع الذات من حين إلى آخر، والأفضل أن تكون كل يوم وقفة مع الذات متأنية، ماذا بعد؟ جمعت المال، ثم ماذا؟ وصلت إلى هذا المكان الرفيع، ثم ماذا؟ تزوجت، ثم ماذا؟ أنجبت الأولاد، ثم ماذا؟ زوجت أولادي، ثم ماذا؟ هيأت دخلاً كبيراً، ثم ماذا؟ ما الذي بعد ماذا؟ بعد ماذا الموت، ثم ماذا؟ اسأل نفسك هذا السؤال، لا تكن مستهلكاً، لا تسمح للدنيا أن تستهلكك، لا تسمح لشهواتها أن تستحوذ عليك، لا تسمح لمشكلاتها أن تتسيك هدفك الكبير، كن مع ذاتك من حين لآخر، لا بد من جلسات مع ذاتك، لا بد من خلوة مع ربك، لا بد من مراجعة الحسابات، لا بد من تفحص الأعمال، لا بد من ضبط البيت، لا بد من ضبط الدخل، لا بد من إنفاق المال.

أيها الأخوة الكرام ؛ وعظ النبي رجلاً فقال: "أقل من الدنيا تعيش حرّاً".

قال بعضهم: "استغن عن الرجل تكن نظيره - ولو كان قوياً أو غنياً " مهما كان غنياً أو قوياً - وأحسن إليه تكن أميراً، واحتج إليه تكن أسيراً "، وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((أقل من الدين تعيش حرّاً، وأقل من الذنب يهين عليك الموت، وانظر حيث تضع ولدك، فإن العرق دساس))

[كتز العمال عن ابن عمر]

أي اختر زوجة صالحة، لأنها ستكون أم أولادك، وقال بعضهم: "من عمل للأخرة أحرزهما معاً - أي الدنيا والآخرة - ومن آثر الدنيا حرم الدنيا والآخرة" وقال بعض الصلحاء: "اغتنم تنفس الأجل - ما دام هناك نفس، ما دام القلب ينبض، وما دام هناك شهيق وزفير فباب التوبة مفتوح، باب الإصلاح مفتوح - اغتنم تنفس الأجل، وإمكان العمل، واقطع ذكر المعاذير و العلل، فإنك في أجل محدود، ونفس محدود، وعمر غير محدود".

باب التوبة مفتوح و كل شيء يُصحّح و يُعدّل مادمت حيًّا :

أيها الأخوة الكرام ؛ بيت من الشِّعر :
ما مضى فاتَ، وَالْمُؤْمَلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

لا جدوى من الحديث عن وقت مضى، مضى بخيره و شره، و لا جدوى لتطلع إلى الغد، لأن الغد لا تملكه.

أيها الأخوة الكرام، والله كنت مع شخص حدثي في ساعة عن مشاريعه إلى عشرين سنة قادمة، غريب، حدثي كيف سيذهب إلى بلد كذا و كذا، و يمضي فيه سنوات خمساً، و يعود إلى بلد و يُحال إلى التقاعد، و يؤسس محلًا تجاريًّا يبيع فيه التحف، يكبر أولاده و يزوجهم، استرسل استرسالًا عجيبًا، استرسل لعشرين سنة قادمة، و والله الذي لا إله إلا هو قرأت نعوته في اليوم نفسه، في اليوم نفسه، مadam هناك نفس، ما دام هناك قلب ينبض، فباب التوبة مفتوح، و كل شيء يُصحّح، و كل شيء يُعدّل، و كل شيء يُتلافى، و كل ذنب مهما كان كبيراً يُغفر، قال تعالى :
﴿قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾

جميعاً

[سورة الزمر : ٥٣]

هذا الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً، تاب الله عليه، مهما كانت ذنوبك، الله عز وجل أفرح بتوبة عبده من الضال الواحد، و الظمان الوارد، والعقيم الوالد.

يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر : " نَبِهِ بِالْتَّفَكُرِ فِي الْقَلْبِ " ، و جاف عن النوم جنبك، و اتق الله ربك.... " وقال عمر : " ارض بالقوت، و خَفْ من الفوت " خف أن يفوتك عمل صالح، خف أن يفوتك طلب علم، خف أن تفوتك طاعة، الناس يخافون على الدنيا، خف على الآخرة، " ارض بالقوت، و خَفْ من الفوت، واجعل صومك الدنيا و فطرك الموت " و قال بعض الخلفاء : " ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه " ما رأيت يقيناً - وهو الموت - لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه " الناس حينما يعيشون و يتحركون لأنهم لا يموتون، يخططون، سمعت عن رجل يؤسس ملهي وهو في السبعين، بأنه لن يموت، " ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه " .

أيها الأخوة ؛ نهارك ضيفك، أحسن إليه فإن أحسنت إليه ارحل بحمدك، وإن أساءت إليه ارحل بذمك، وكذا ليتناك، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيمة، وقد كتب بعض الأدباء أن : " يا ابن آدم لورأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك و حيلك " .

الموت ينبغي ألا يغادر أذهاننا :

أيها الأخوة ؛ حينما حضر بشر الموتُ فرحة، فقيل له: أتفرح بالموت ؟ فقال: " أتعلمون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه " قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ مُتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٨]

وقال تعالى:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف: ٣٢]

الإنسان أحياناً يبحث عن رزقه، أما إذا تجاوز هذه المرحلة فيبحث عن الجمع فقط، يجمع الملايين المملينة، يقول الله عز وجل:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف: ٣٢]

قالوا: " من ذكر المنية نسي الأممية " وقالوا: اكساب طيباً واعمل صالحاً، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم، واعد نفسك من الموتى" الموت ينبغي ألا يغادر أذهاننا، وليس معنى هذا أن تقعد عن العمل، لا بل عليك أن توسس عملاً، و تبحث عن رزق و تزوج، و لكن دون أن تعصي الله عز وجل، قال تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَبَّلُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

[سورة النور: ٣٧]

هم يتاجرون و يبيعون، و لكن هذه التجارة لا تلهيهم عن ذكر الله عز وجل.

قالوا: "السعيد من اعتبر بأمسه، والشقي من جمع لغيره" ، و بخل على نفسه، وأندم الناس رجل دخل الناس بعلمه الجنة، و دخل هو بعلمه النار "أندم الناس غنيّ دخل ورثته بماليه الجنة، ورثوا مالاً حلالاً فأنفقوه في طاعة الله، فدخلوا به الجنة، وهو دخل بماليه النار، يُروى أن روح الميت ترفرف فوق النعش وتقول: " يا أهلي، يا ولدي، لا تلعننّ بكم الدنيا كما لعبتْ بي، جمعتُ المال مما حلّ و حرّم، فأنفقته في حلّه وفي غير حلّه، فهنيئاً لكم، والتّبعةُ علىّ " وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه:

((العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فهو الذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعبد، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار))

[البيهقي في الشعب من روایة الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم]

الحكمة من تقديم الله الموت على الحياة :

لماذا قدم الله الموت على الحياة ؟ قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

[سورة الملك: ٢]

أي أن الإنسان حينما يولد أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى، أما حينما يأتيه الأجل فإما إلى جنة يدوم نعيمها أو إلى دار لا ينفذ عذابها، "فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار".

الدنيا ساعة اجعلها طاعة :

أيها الأخوة ؛ قال بعض العلماء: "الدنيا ساعة" ، أي تمضي كأنها ساعة، كل واحد منا له عمر، كيف مضى هذا العمر، كيف مضت الثلاثون؟ أو الأربعون؟ أو الخمسون؟ أو الستون؟ أو السبعون؟ كيف مضت؟ كلام البصر:

﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

[سورة المؤمنون: ١١٣]

الدنيا تمضي سريعاً و كأنها ساعة، فاجعلها طاعة، وقال بعضهم: "رتعنا في الدنيا جاهلين، وعشنا فيها غافلين، وأخرجنا مكنها كارهين" وقال بعضهم: "عجبنا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبنا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل" وقال بعض الحكماء: "المسيء ميت وإن كان في دار الحياة، والمحسن حي وإن كان في دار الممات" ، "يا بني مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، يا بني العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، و المال تنقصه النفة، و العلم يزكي على الإنفاق".

من أروع ما قاله سيدنا عمر بن عبد العزيز قال: "الليل و النهار يعملان فيك" أنت بصورة قبل عشرين عاماً، أو قبل ثلاثين عاماً، أو قبل أربعين عاماً، أو قبل خمسين عاماً، شاب فتى وسيم، انظر إلى صورتك وأنت في هذا السن، من فعل هذا بك؟ الليل و النهار، تقدم العمر، الليل و النهار يعملان فيك، كيف ترد عليهم؟ قال: "فاعمل فيهما" الليل و النهار يعملان فيك فاعمل فيهما، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبِيعًا هُلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَى فَقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ غَنِيًّا مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرَّ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرًا))

[الترمذى عن أبي هريرة]

وهو من أكبر المصائب، غنى مطغيًا، أي مال وفير حمله على معصية الله، عده النبي مصيبة، هل تنتظرون إلّا فقرًا مُنسِيًّا، أوْ غنًى مطغيًا، أوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أوْ هرَمًا مُفْنِدًا، أوْ موْتًا مُجْهِزًا، أوْ الدّجَالَ فشَرَّ غَائِبٌ يُنْتَظِرُ، أوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ.

العاقل من يأخذ من دنياه لآخرته :

أيها الأخوة ؛ اعملوا لآخرتم في هذه الأيام التي تسير وكأنها تطير، عشنا عام السبعين، واحد وسبعون، اثنان وسبعون، مضى عقد السبعين، جاء عقد الثمانين ثم التسعين ودخلنا في الألفين، الأيام تسير وكأنها تطير، وقالوا عن الوقت: إنه سريع الانقضاء، فخذ من دنياك لآخرتك، عباد الله الحذر الحذر، فوالله لقد ستر حتى لكانه غفر، وقد أمهل حتى كأنه أهمل، وقال آخر: "الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجمل أفعالكم" ، وقد روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما رأيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبًا وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبًا))

[الترمذى عن أبي هريرة]

وقال بعضهم:

﴿ أَلَا إِنَّ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَجُونَ ﴾

[سورة يونس: ٦٢]

من هم ؟ الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، هو ينظر إلى هذا القبر الذي مأواه الأخير و مثواه الأخير، وهم ينظرون إلى البيوت الفارهة والمعارات الشاهقة و السيارات الكبيرة، نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، ونظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميت قلوبهم، و تركوا منها ما أيقنوا أنه سيتركهم، قال سيدنا عمر: "إذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه فيها، وإذا رأيتم طالب الدنيا فارفضوها في نحره" ، فربما أدرك الذي يطلبها، فهلك بما طلب " سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه قال: "يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح، ما لي أراكם تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، إن الذين كانوا قبلكم بنوا فشيدوا، وأملوا بعيداً، و جمعوا كثيراً، فأصبح أملهم غروراً، و جمعهم ثبوراً، ومساكنهم قبوراً".

والله أعرف رجلاً اشتري بيتهين متجاورين في أرقى أحياء دمشق، لم تعجبه كسوة البيتين، كسر كل شيء في بيته، قلع البلاط و أزال النوافذ، لم يُبق في البيتين إلا الهيكل، واستغرق العمل سنتين متكاملتين، وافته المنية بعد انتهاء الكسوة بيوم، إنكم تبنون ما لا تسكنون، و تجمعون ما لا تأكلون، و قال بعض الحكماء: "ما أنصف نفسه من أيقن بالحشر و الحساب وزهد بالأجر و الثواب" و قال آخر: "بطول الأمل تقسو القلوب، و بإخلاص النية تقل الذنوب" و قال آخر: "إياك و المُنْى فإنها بضائع الحمقى" أن تعيش في أمل الدنيا، تشتري و تتبع و تتجار و تجمع ثروة، هذا

الذى يعيش فى الأمل أمله بضائع الحمقى، و قال آخر: "قصير أملك فإن العمر قصير، وأحسن سيرتك فالبرّ يسير" وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه: "أيتها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين تشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجادتهم، ونأكل تراهم، كأننا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة، وأمنا كلجائحة، طبوى لمن شغله عيشه عن عيب غيره، وأنفق من مال كسبه من غير معصية، ورحم أهل الدين والمسكنة، و خالط أهل الدين والحكمة، طبوى لمن أدب نفسه و حسنت خليقته، و صلحت سريرته، طبوى لمن عمل بعلم، وأنفق من فضل، وأمسك من قوله، ووسعته السنة ولم تستهوا البدعة" وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن: "زوروا القبور تذكروا بها الآخرة، وغسلوا الموتى، فإن معالجة الأجساد الخاوية موعظة بلية" الربيع بن خثيم حفر في داره قبراً، فكان إذا وجد في قبره قسوة جاء فاضطجع في القبر، فمكث ما شاء ثم يقول:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ عَلَّى أَعْمَلٍ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

ثم يرد على نفسه فيقول: قومي لقد أرجعناك.

القبر موعظة كبيرة :

أيها الأخوة ؛ قال بعض العلماء: " كفتكم القبور موعظ" فالقبر وحده فيه موعظة كبيرة، والنعمات فيها موعظ كبيرة، وفي دمشق الشام يموت في اليوم أكثر من مئة إنسان يومياً، من ثمانين إلى مئة، و الجنائز تمشي أمامنا، والنعمات تمشي أمامنا، و البيوت فيها تقبل التعازي، وكأن هؤلاء الأموات يموتون و نحن لا نموت، يقول لك: مسكين مات، و أنت أيضاً مسكين، لأنك أيضاً سوف تموت، و كل مخلوق يموت.

في بلدة يكتب على شواهد القبور حكم، فمما كتب على قبر من هذه القبور: " قهرنا من قهرنا، فصرنا للناظرين عبرة" وكتب آخر: " من أمل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغدور" وقال بعضهم: " من لم يتعظ بالموت لم يتعظ بقول أحد" و قال بعضهم: " ما نقصت ساعة من أمسك إلا ببضعة من نفسك" هذا ما قاله الحسن البصري: الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه" و قد مات بعضهم و كان كبيراً في نظر الناس فقال: " في الأمس كنت أنطق منكَ اليوم، وأنتَ اليوم أو عظ منك في الأمس" الميت كان حياً يتكلم، بعد أن مات سبب موعظة بلية.

أيها الأخوة الكرام ؛ قلت لكم في البداية موضوع هذه الخطبة رائق، أي كلمات مؤثرة في الحياة الدنيا و في الآخرة، فينبغي في هذه الكلمات أن تحفتنا إلى التوبة، وأن تحفتنا إلى الطاعة، وأن تحفتنا إلى مراجعة الذات، و أن تحفتنا إلى خلوة مع الله، وأن تحفتنا إلى ترتيب أوراق البيت

الداخلي، وأن تحفنا لمراجعة الأمور، وأن تحفنا لضبط البيت، وضبط العمل، أن تحفنا للصلح مع الله، هذه مهمة الرقائق.

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبات خلايا الدماغ نعمة لا تقدر بثمن :

أيها الأخوة الكرام، ثبات الشخصية نعمة لا تُنكر بثمن، وقل من ينتبه إليها ، ذلك أن خلايا الجسم، الخلايا العظمية و النسج و العضلات والأجهزة حتى الشعر، وأية خلية في الجسم تتبدل كل خمس إلى سبع سنوات، أنت بعد سبع سنوات إنسان آخر، ليس في جسمك خلية واحدة قديمة، أنا كنت أعلم أنها خمس سنوات، وهنا وجدت أنها سبع سنوات، كل شيء في الإنسان يتبدل في سبع سنوات، ليس في جسمك خلية واحدة إلا وهي جديدة، حتى خلايا العظام، عظمك يتبدل، وجلدك يتبدل، وشعرك يتبدل، هناك خلايا تتبدل في ثمان و أربعين ساعة، أقصر عمر خلية في جسمك خلية بطانة الأمعاء الزغابات، هذه تتبدل كل ثمان و أربعين ساعة، أي أنت كل ثمان و أربعين لك زغابات جديدة، وأطول هذه الخلايا تعيش سبع سنوات، أو خمس سنوات، معنى ذلك أنك تتبدل تبدلاً جزرياً كل سبع سنين على أرجح الأقوال، فإذا تبدل دماغك نسيت اهتمامك، ونسيت حرفك، ونسيت معارفك، ونسيت أولادك، ونسيت خبراتك، ونسيت ذكرياتك، ونسيت سبب رزقك، ولا تعرف من هي زوجتك، ولا من هم أولادك، فالحكمة بالغة خلايا الدماغ لا تتبدل، لأنها لو تبدلت لكان طامة كبرى، والله كنت طيباً فقدت اهتمامي، وكنت مهندساً، وكنت خطيباً، وكانت تاجراً، لو أن هذا التبدل يقع في الدماغ تذهب شخصية الإنسان، وهذه حكمة بالغة، ثبات شخصية الإنسان، هناك نعم قد نغفل عنها، وهناك نعم لا تعد ولا تحصى، نحن عنها غافلون، قال تعالى:

﴿وَكَائِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُغْرِضُونَ﴾

[سورة يوسف: ١٠٥]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف : ١٠٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ كلما تفكرت في نعم الله ازددت حباً له، " يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال: أحب العباد إلى نقي القلب، تقى اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني وأحب من أحبني، وحبيبني إلى خلقي، قال: يا رب إنك تعلم أنني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبك إلى خلقك ؟ قال: ذكرهم بالآئي ونعمائي وبلائي " ذكرهم بالآئي كي يعظموني، وذكرهم بنعماي حتى يحبوني، ذكرهم ببلائي كي يخافونني.

وأنا أتمنى عليكم أن تسعوا إلى أن يجتمع في قلبكم تعظيم الله، من خلال النظر في آياته، ومحبة له من خلال النعم الظاهرة والباطنة، وخوف منه من خلال رؤية المصائب التي تصيب الناس، فالمصيبة تجعلك تخاف، والنعمة يجعلك تحب، و الآية يجعلك تعظم، و لا بد من أن تعظم و أن تخاف و أن تحب.

الدعا :

اللهم اهدنا فيمن هديت، واعفنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعالیت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحرمنا، أكرمنا و لا تهمنا، آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشينك ما تحول به بيننا و بين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، و من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، و متعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحيايتها، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا ما لا يخافك و لا يرحمنا، مولانا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء و من شماتة الأعداء و من السلب بعد العطاء، اللهم إنا نعوذ بك أن نضل أو نُضل، أو ننزل أو نُنزل، أو أن نجهل أو أن يجهل علينا، يا رب العالمين، ما رزقناه عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيمن تحب، يا رب العالمين، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك، يا رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين